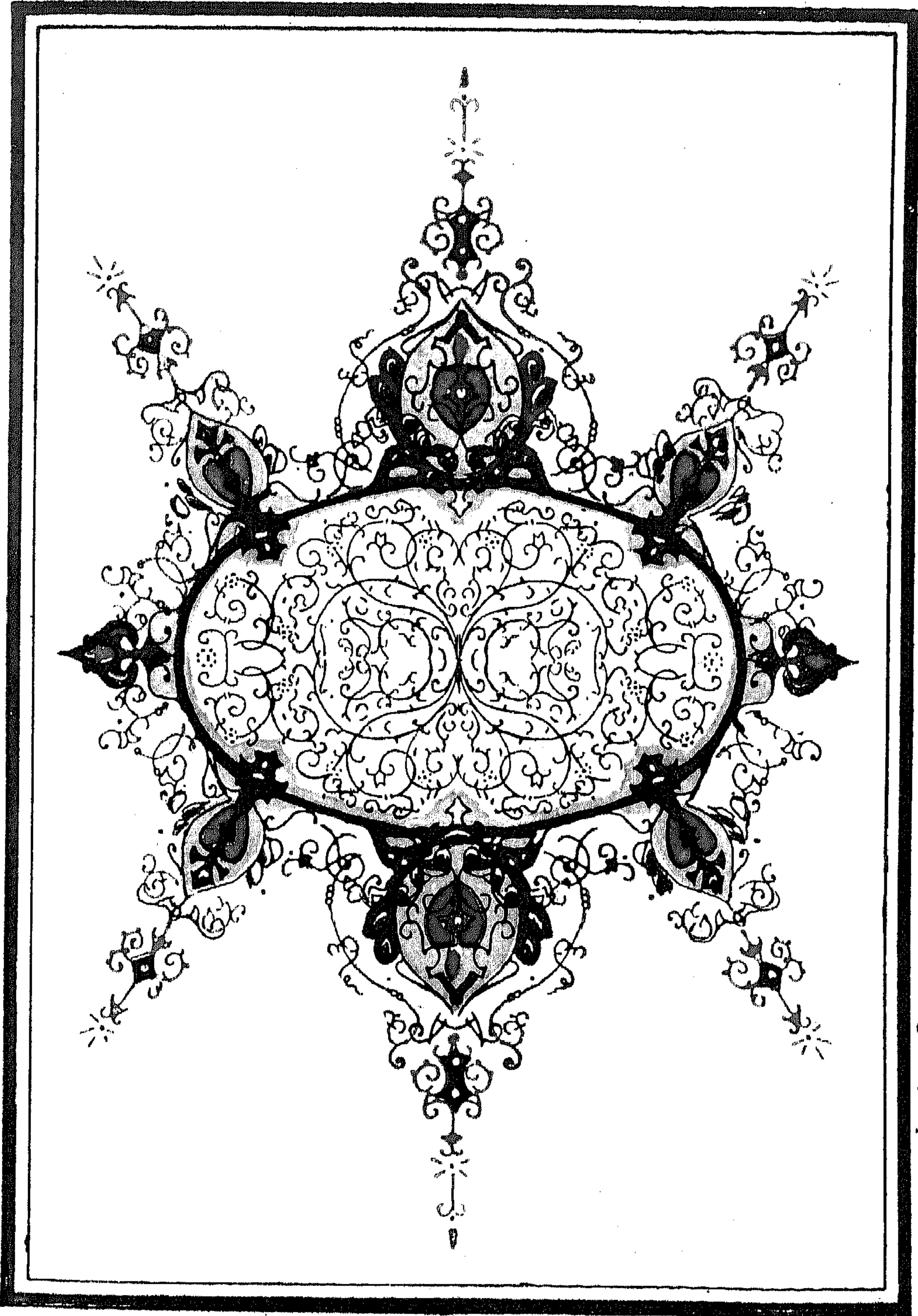


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الحادي والستون
ربيع الأول ١٤٠٨ هـ
نوفمبر ١٩٨٧ م

دراسات في النظام الصوتي الصرفي

للككتور أحمد عام الدين إيجدى

مقدمة :

وورد في كتاب الترقيص عن أبي حاتم
« قال : سألت الأصمعي : لم سُميت
مِنِّي مِنِّي ؟ قال : لا أدري . فلقيت
أبا عبيدة فسألته فقال : لم أكن مع
آدم حين علمه الله الأسماء فأسأله عن
اشتقاق الأسماء ، فأتيت أبا زيد فسألته
فقال : سميت مِنِّي لما يُمنَى فيها من
الدماء^(٢) . »

وبشفافية الحس العربي رفض أعرابي
اشتقاق (مُسْحَب) اسم مفعول من
(سَحَب) الثلاثي المتعدى بدلا من
(مَسْحُوب) الذي هو الأصل والقياس ،
وذلك حين ارتاب أبو عمر الجرمي في
فصاحة أعرابي ، فأراد امتحانه ، وألقى
عليه بيتاً هو .

كم رأينا من (مُسْحَب) مُسْلَحِبٌ
صَادَ لِحَمِّهِ النَّسُورُ وَالْعَقْبَانِ

تنبيه نفر من علماء العربية القدامى
فردوا كثيراً من المواد اللغوية إلى أصولها
المعنوية المشتركة ، والتي اشتقت منها
تلك المواد ، وكان من هؤلاء ابن فارس
(ت ٥٣٩٥) في كتابه (مقاييس اللغة^(١))
حيث يقول في مقدمته : « وقد ألف
الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ، ولم يعربوا
في شيء من ذلك عن قياس من تلك
المقاييس ، ولا أصل من الأصول ، والذي
أوماننا إليه باب من العلم جليل ، وله خطر
عظيم ، وقد صادنا كل فصل بأصله الذي
يتفرع منه مسائله .. » .

على أن العربي كان يحس من دخيلة
نفسه وقوة طبعه . ولطف حسه ، أن
الاشتقاق قانون نفسي مطرد لا يتغير ،
لا يحيد عنه ، ولا ينفر منه .

(١) تطلق المقاييس ، ويراد بها الاشتقاق الأكبر .

(٢) المزهر ١ / ٣٥٣ .

و (البط-لان) التي منها الباطل
ضد الحق أصلها من كلمة (الباطل)
بمعنى إبليس ، وقد ورد هذا المعنى الأصلي
في قول الله تعالى : « وما يُبَدِّئُ الباطلُ
وما يُعِيدُ^(٢) »

(١) الأصل الاشتقاقي :

يرى بعض العلماء أن الأصل هو الثنائي
فرمى : أصلها الثنائي (رَمَ) حرك حرفه
الثاني بفتحة مشبعة علامتها ألف ، فلامه
ليست حرفاً ، بل إطالة أو إشباع الفتحة
السايقية . والمثال (وثب) أصله الثنائي
﴿ ثب ﴾ زيدت فيه الواو لتتويجاً . والأجوف
(قام) أصله (قَمَ) أشبعت حركة حرفه
الأول . أما المضاعف فهو مركب من
حرفين مثل : لَعُ لَعُ ، مَرَمَرُ ، فهو عبارة
عن ثنائيين مكررين . ومن العلماء الذين
يرون ثنائية الأصل ابن فارس والشدياق
وجرجى زيدان والكرملى والدومنكى ، ولهم
حجج كثيرة منها :

أن أصول الكلمات السامية كانت

فأفكر الأعرابي فيه ، ثم قال : رُدُّ
على ذكر (المسحوب) حتى قالها مرات ،
فعلمت أن فصاحته باقية .

لكن جاءت بعد ذلك (مدرسة
الاشتقاقيين) حيث خرجت بالاشتقاق
عن حده وطبعه ، وزادوا فيه تشويشاً
وتهويماً ، فقالوا : إن (الرَّحْلُ) مشتق
من الرحيل ، و (الخروف) منسوب إلى
موعده في الخريف ، و (الغراب) . من
الغربة والإيدان بها حيث يعيش هذا الطائر ،
و (الفرس) من الافتراس ، و (الحمار)
من لونه الأحمر ، و (الخيل) مشتق من
الخيلاء^(١) . وغاب عنهم أن المعاني الحسية
أسبى في الوجود ، وأنها أصل الاشتقاق
والمعنوي فرع للحسي . (فالجميل والجمال)
أصلهما من (الجمل) عند العرب ،
وكانوا يرونه أجمل الحيوانات ، كما
اعتبروا أي شبه بين الإنسان والحيوان
في الصبر والاحتمال هو (جمال) أيضاً ،
والله تعالى يقول : « فصبر جميل » .

(١) انظر في ذلك قصة طريفة لأبي عمرو بن العلاء في : المزهري ١ / ٣٥٣ (ط دار إحياء الكتب العربية)
(٢) سورة سبأ ، آية ٤٩ ، وفي الكشاف للزمخشري (٣ - ٤٦٧) طبعة الاستقامة ١٩٥٣ م « الباطل
إبليس لعنه الله والمعنى : ما ينشئ خلقاً ولا يعيده وقال الزجاج : أي شيء ينشئ إبليس ويعيده ؟ فجعله للاستفهام » .

تبدل من أحد الضعفين حرفاً من حروف
العلة : انظر ما يلي :

كعّ تطورت إلى كاع .

ضرّ يضرّ ضمراً تطورت ضمراً يضير يضيراً
ضمّ تطورت إلى دام .

طبّ ، غمّ تطورت إلى طاب ، غام .

مدّ تطورت إلى ماد .

صرّ (الصوت) تطورت إلى صار .

حفّ تطورت إلى حاف .

غبّ تطورت إلى غاب .

طمّ يطمّ طموماً تطورت إلى طما يطموطموا

همّ تطورت إلى همى .

محنّ تطورت إلى محا .

حمّ (الحديد) تطورت إلى حمى

شجب تطورت إلى شجا (أحزن) .

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نوناً مثل :

احرّجّم تطورت إلى احرنجم .

اظلمّ تطورت إلى انظلم^(١) .

وأبدلت نوناً ، لأنّ النون حرف موسيقى

محبب في اللغة ، ولهذا يرى بعض الباحثين^(٢)

مؤلفة من حرفين اثنين ، ثم زيد فيما بعد
على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا :
بأنّ الثنائيات صورة بعيدة مغرقة في القدم ،
ودليل ذلك التدرج الطبيعي ، والانتقال
من هذه المرحلة إلى ما استقرت عليه
الكلمات من ثلاثية الأصوات .

ويرى معسكر آخر أنّ أصل اللغة يرجع
إلى الثلاثي ، وأنه لم يتطور عن غيره ،
ولهم أدلتهم أيضاً ، على أنه يجب أن
نشير إلى أنّ النظرية الثنائية مازالت
فرضاً واحتمالاً ، وأنها لم ترق إلى مجال
القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على
النظرية الثلاثية بأنها تنفي أصالة ماعدا
الثلاثي ، وهم مع ذلك يلجئون في إثبات
نظريتهم إلى التأويل .

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائي
وتنميته لما فوّقه إلى الثلاثي عن طريق
تضعيف الحرف الثاني أو إضافة حرف
علة إلى أول المادة الثنائية أو في وسطها
أو في آخرها ، يرون أنّ اللغة وجدت في
أثناء تطورها في المضعف ثقلاً فراحت

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ - مصطّ جواد .

(٢) المرجع السابق .

أن وزن (أفعل) هو الأصل ثم تطور إلى (انفعال) فهي صورة جديدة للمطاوعة وهي فرع عن (أفعل وافتعل) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية إلى الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على طريق الإبدال : الأَجوف ثم الناقص وكأنه نوع من القطعة^(١) (الترخيم) ثم المثال ثم السالم ، فالسالم جاء آخرًا ؛ لأن زيادة حرف على المضعف أليق بحكمة الواضع في التفنن في نقصه ، إذ لو جعلت السالم أصلاً لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان . والدليل على أصالة المضعف قراءة أبي حيوة (وعزني في الخطاب) (٢٣ سورة : ص) قال ابن جنى في المحتسب (٢ / ٢٣٢ دار إحياء الكتب العربية تحقيق الأستاذ النجدي والدكتور عبد الفتاح شلبي) أصله : عزني غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاي الثانية أو الأولى كما حكاه ابن الأعرابي من قولهم ، ظننت ذلك : أي ظننت ، هذا ويمكن

لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأَجوف والناقص^(٢) الجبّ تطورت إلى الجوب (القطع

دسّس تطورت إلى دسّى (وقد خاب من دسأها) .

تسرر تطورت إلى تسرّى .

(وليملل الذي عليه الحق) تطور إلى (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) .

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء .

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأفعال واشتقاقها بعضها من بعض ، بل نرى من (الأفعال) ما تطور إلى (حرف) خالص انظر مثلاً :

البدويُّ عَلى الجبَل - فهي فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول^(٣) : البدويُّ على الجبلِ فهي نفسها حرف جر ، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولاً واستعمالاً كما كان الأصل الاشتقاقى محكّ خلاف بين البصريين والكوفيين ، فيرى البصريون

(١) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ للأستاذ حامد عبد القادر ، ونشر . بمجلة المجمع ج ١١ .

(٢) حروف تشبه الحركات . د . إبراهيم أنيس ، ونشرت بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١٦ .

(٣) البحوث والمحاضرات دورة ٣٣ مجمع اللغة العربية : من دلائل القدم في العربية د . عبد الستار الجوارى .

أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه ،
والكوفيون على العكس يرون أن الفعل هو
الأصل والمصدر فرع عليه .

وحجة البصريين منها : أن الفعل يدل
على الحدث والزمان ، فلو كان المصدر مشتقاً
من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من
الحدث والزمان وعلى معنى ثالث ،
كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على
الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما
لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقاً
منه .

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل
بتسميته مصدراً ، والمصدر هو الموضع الذي
يصدر عنه ، ... فلما سمي مصدراً دل
على أن الفعل قد صدر عنه ، وكذلك
احتجوا بأن قالوا : بأن المصدر يدل
على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان
معين ، فكما أن المطلق أصل للقيّد ،
فكذلك المصدر أصل للفعل .

كما احتج الكوفيون بأدلة منها : أن
المصدر يصبح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ،

ألا ترى أنك تقول : قاوم قياماً - فيصح
المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياماً -
فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل
لاعتلاله دل على أنه فرع عليه . كما تمسكوا
بأن المصدر يذكر تأكيداً للفعل ، ولاشك
أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل
على أن الفعل أصل والمصدر فرع^(١) ...
وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا ،
وأرجح رأي الكوفيين في هذا النزاع
مسترشداً بما يلي :

١- ما يراه نفر من المستشرقين من أن
أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه إلى أصل
ذى ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو حرفين)
وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره
حرف أو أكثر ، فتتكون من الكلمة
الواحدة صور مختلفة تدل على معان
مختلفة .

٢- أن العقلية الفعلية قد ساد
على اللغات السامية ؛ لأن لأغلب الكلمات
في هذه اللغات مظهراً فعلياً . ففي الساميات
الفعل هو كل^(٢) شيء ، أما من ذهب

(١) الإنصاف لابن الأنباري : مسألة ٢٨ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ ولفسون .

إلى أن أصل المشتقات هو المصدر - فهو
مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا في
اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل في
الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر -
فعلماؤنا متأثرون ومقلدون .

وليس النزاع الذي ذكرنا طرفاً منه
وحده فحسب ، بل وقع خلاف في دوائر
البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : إن
المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه
أصل للمشتقات بالواسطة ، إذ المشتقات
متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعية
المتعلق ، ثبتت فرعية المتعلق به ، وقال جماعة
منهم السيرافي : المصدر أصل للفعل ،
ولكنه ليس أصلاً للمشتقات ، بل الفعل
هو الأصل للمشتقات ، إذ لا يلزم من
كون الفعل متفرعاً عن المصدر ، أن تكون
متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ،
بل ينقل السيوطي عن طائفة من المتأخرين
اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما
نقل عن طائفة من أهل النظر أن : الكلم
كله أصل !! وإذا كنا قد رجحنا رأياً

الكوفيين فلا زال الطريق شائكاً ، فأى
الأفعال هي الأصل ؟ يذهب بعض العلماء
المحدثين إلى أن اسم الفاعل هو الأصل ،
وبعضهم يذهب إلى أن صيغة الأمر هي
أصل اشتقاق الأفعال . أما نحاة العرب
فبعضهم يرى أن الفعل الماضي هو الأصل ،
وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل ،
وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، إلى
إغيار هذه الآراء . كما يرى بعضهم أن
بدايات الفعل في العربية إنما هي تطور من
استخدام بعض صور اسم الفعل^(١) ، أو أن
الفعل إنما تطور عن كلمات استخدمت
وقصد بها الاسم والفعل معاً ، ثم أخذ
مدلول الفعل فيها يتحدد ، ويستقل
بإضافة فكرة الزمن ، ويرى نفر من العلماء
أن ننظر إلى (الجذر^(٢)) وهذا يحل
مشكلة الأصل الاشتقاقات ، فمسألة الاشتقاق
إتقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات
واشتراكها في شيء معين ، والقدر المشترك
بين الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو
الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنت إذا

(١) الفعل زمانه وأبنيته ١٢١٠ د. السامرائي .

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٨٢ د. تمام حسان .

في اللغة متعدد ، إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفي المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها ، كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبراً ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر . والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضاً في الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمناً وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده - حسب حاجة اللغة واستعمالاتها في حضارتها ويداوتها .

ملحوظتان :

- ١- إذا ترددت الكلمة بين أصليين في الاشتقاق فالتمس ما يرجح أحدهما ، وله وجوه :
- (١) كون أحد الأصليين أشرف .

نظرت إلى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك في (ضرب) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التي تتفرع منها الكلمات . فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول إلخ صور من صور التعبير الشكلية للمادة التي لا يصدق عليها وصف بالفعالية أو الاسمية .

وفي كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعاني ، فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهي أسماء معان جامدة ، ففي المخصص^(١) : كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمة ففي اللسان^(٢) : وأخرف القوم - دخلوا في الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات : يديته : ضربت يده ، فهو يدي ، ويدي : شكاً يده^(٣) ، ومن العجيب أن العرب قد اشتقت من الحرف ، ففي الخصائص^(٤) : سألتك حاجة فلوليت لي : أي قلت لي (لولا) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو + لا) . ومعنى ذلك أن (الأصل)

(١) ١٢٩ / ١٧ .

(٢) ٤٠٩ / ١٠ .

(٣) اللسان ٢٠ / ٣٠٣ .

(٤) ص ١ / ٤٣٦ .

سمت على كل لغات البشر . وأما اللغات الأخرى غير العربية « فإن القول بأن لها أى فضل يعتبر قولاً منبوذاً عند أهل الملل^(٢) »

ومن هذه الصيغ التي ردها إلى العربية التي اشتقت منها :

(١) « جَنَاتِ عَدْنٍ^(٣) » فاشتقت من : عَدْنَتْ الإبل بمكان كذا وكذا ، إذا ألفتَه ولزمتَه ، ومنل قِيل لمعدن الذهب والفضة : معدن ، لأن جوهر الذهب والفضة يشبث فيه لكن الواقع أن (عدن) ورد ذكرها في سفر التكوين^(٤) « وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً » فهي علم على مكان^(٥) وعن جويبير في تفسيره المعرب أنها بالرومية ، وقيل : بالسريانية وفسرت بالكروم والأعشاب .^(٦) فكيف إذن تشتق (عدن) عند علماء العربية من (عَدْن) بالمكان ، إذا أقام وخلد به !

(ب) كونه أخص فيرجع على الأعم .
(ج) كونه أسهل وأحسن تصرفاً .
(د) كونه أليق .

٢- قد يعرض للفرع المشتق مع الأصل

المشتق منه تغييرات منها :

(١) زيادة حركة كَعَلِمَ من العلم .
(ب) زيادة مادة : كطالب وطلب .
(ج) زيادة حركة وحرف كضارب من الضرب .
(د) نقصان حركة كفَرَس من الفرس .

(راجع القائمة في المزهرة للسيوطي^(١)) .

رسائل وقضايا حول الأصل الاشتقاقي :

هناك كلمات شائكة الدلالة ؛ لأن وجهات النظر تختلف فيها ، وأيسر شيء لدى اللغويين الاشتقاقيين أن يربطوا بين مواد لغوية زعموا أنها اشتقت منها ، وما ذلك إلا لأنهم فتنوا بالعربية حتى

(١) ص ١ - ٣٤٩ .

(٢) كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ١ / ١١ .

(٣) سورة مريم : ٦١ ، وطه : ٧٦ .

(٤) الإصحاح الثاني : الآية ٨ - ٩ .

(٥) كتاب الزينة ٢ / ٢٠١ .

(٦) المتوكلي للسيوطي ٨ ، ٩٠ (ط دمشق ١٣٤٨ هـ) .

بل يذهبون أكثر من ذلك حيث يقولون :
يَعْدِن وَيَعْدُن : لغتان !! فالكلمة ليست
عربية حتى يمكن ردها إلى أصل عربي .

(ب) من المعروف في الدراسات اللغوية
المقارنة أن السين في العبرية والآرامية
تقابلها الشين في العربية ، وقد وردت
(سَكِين) في العبرية ، و (سَكِينًا) في
الآرامية ، والكلمة (سَكِين) دخيلة في
العربية ، انتقلت إليها من الآرامية
بسينها ، ولز كانت الكلمة أصيلة في
العربية لقليل : (شكين) بالشين^(١)

وعلى الرغم من أن الكلمة دخيلة إلا أن
ابن جنى يشتق منها حيث يقول :
« وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة
تسكين النابح به^(٢) » .

ومن ذلك قول ابن جنى في (المسك)
بأنه فِعْلٌ من « أمسكت الشيء ، كأنه
لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه ، ولا يعدل
بها صاحبها عنه^(٣) فابن جنى يشتق منه
على الرغم من كونه فارسيًا .

وإذا كان (الإريس) بمعنى الأكار
ليست عربية فلا عبرة بالفعل (أرس)
بمعنى : صار أكارا ، لأنه مشتق من الاسم
المعرب^(٤) .

ومن ذلك صيغة (ميناء) فقد خلطت
المعاجم في أصلها واشتقاقها ومدتها وقصرها
فبعضها ذكرها في مادة (مون) أو (مين)
لأن الميناء هو مرفؤ السفن حيث تمون فيه .
واللسان يذكرها في (وني) حيث يقول :
وهو مفعال من الوئى ، وهو الضعف ،
والفتور ، وكان السفن تنى فيه ، أى
تفتر عن سيرها ، والميناء يمد ويقصر
كذلك . ويرى نفر من الباحثين أن كلمة
(مينه) في المصرية القديمة هي المرسى
للسفن ، ورسمها الرمزي عندهم : مركب
أو سفينة .

والحفريات والآثار تؤكد أن مصر
أول أمة استخدمت الملاحاة والنقل النهري
وإقامة المراسى على الشواطئ ، وما زالت
حيث كانت تحمل السفن من مرساها

(١) نصوص في فقه اللغة العربية ١ / ١٨٣ ، دكتور يعقوب بكر - هامش .

(٢) الخصائص ٣ / ٢٦٧ .

(٣) الخصائص ٢ / ١١٨ .

(٤) دراسات مقارنة في المعجم العربي ٨٦ وما بعدها ، للدكتور يعقوب بكر (بيروت) .

٣- جهنم ، عبرية الأصل ، وقيل :
أصلها عربي^(٢)

٤- خوان ، فارسي ، وحكى عن ثعلب
أنه قال وقد سئل : أيجوز؟ أن يقال :
إن الخوان سمي بذلك لأننا نتخون ما عليه ،
أى نتنقص ؟ فقال : ما يبعد ذلك^(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى قول
أبي بكر محمد السرى السراج فى رسالة
الاشتقاق^(٤) ، فى (باب ما يجب على
الناظر أن يتوقاه ويحترس منه) قوله :
« ومما ينبغى أن يحذر (الناظر) غاية
الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء قد
أخذ من لغة العجم ، فىكون بمنزلة من
ادعى أن الطير ولد الحوت » ، ويقول
ابن جنى فى المحتسب^(٥) : « وإذا جاز
للعرب أن تخلط فى العربى وهو من لغتها
فكيف يكون - لبت شعرى - فما ليس
من لغتها !؟ » .

الفول الذى تنتجه أرض الصعيد ، ومثلها
كلمة (المنيا) فى الصعيد تحمل اسم :
منية الفولى ، منيا القمح ، على بحر
مويس ، أو بحر موسى فى الشرقىة ،
وكانت المرسى التى تحمل منه السفن -
المحصول القمح فى الدولة القديمة فى :
أبوسيطه وصا الحجر^(١) ، فالكلمة ليست
عربية ، ومن التعسف أن تردها المعاجم
فى الاشتقاق إلى أصل عربى

(ج) وهناك صيغ كثيرة وقع فيها
خلاف كبير حول الأصل الذى اشتقت
منه ، لاسيما فى الألفاظ المعربة :

١- فالمشزاب ، ومعناه بالفارسية :
بل الماء ، رأى يرى أنه من أصل فارسى ،
ورأى يرى أنه من أصل عربى ، ومن
دعاة العربية ابن فارس ، ومن دعاة
الأصل الفارسى الأصمعى

٢- إبليس ، أصله يونانى معرب ،
وبعضهم يرى أن الأصل عربى .

(١) صحيفة الأخبار القاهرية (٣٠ مايو ١٩٧٣ م) .
(٢) العرب للجوابلى ١٠٧ (تحقيق الشيخ أحمد شاکر - دار الكتب المصرية) .
(٣) نفسه ١٢٩ .
(٤) ص ٣١ (ط . دمشق) .
(٥) ص ١ / ٨٠ .

أى لصق ، كما حاولوا أن يجدوا أصلاً
ومعنى لكلمة (بَسَن) وهو من : بَسَسَ
السويقي^(٢) .

ومما يؤكد أن الكلمة الثانية لا معنى
ولا اشتقاق لها ما جاء في الجمهرة^(٣)
« قال أبو بكر : سألت أبا حاتم عن
(بَسَن) فقال : لا أدري ما هو »
وأبو حاتم بقوله : « لا أدري » تخلص
من التعسف ، وأمن العثار الذي تردى
فيه آخرون حين أرادوا المخارج فوقعوا
وأوقعوا في المخارج .

٢- بل حاول كثير من اللغويين أن
يرجعوا أسماء الأشخاص والقبائل إلى أصول
لمجرد الاشتراك في الأصوات ، ومن هؤلاء
ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) وإليك
نماذج التقطناها من هذا الكتاب :

(١) عَكَّ - من قولهم : عَكَّ يومنا ،
إذا اشتد حره^(٤) .

والحقيقة أن دراسة (الأصول)
تحتاج إلى معرفة دلالات المادة في
الساميات وتطورها ، والعرب لم يكونوا
على معرفة كاملة لبعض اللغات السامية ،
ولهذا استعانوا بالاشتقاق لالتماس
التخريجات لتلك الألفاظ ، وفسروها كما
لو كانت عربية محضة كما سبق .

(د) وهناك صبيغ كان الأجدد بها أن
تظل بمنأى عن فرع الاشتقاق ، من ذلك :

- قولهم في الإتياع : شَيْطَانٌ لَيْطَانٌ ،
وخراب يَبَاب ، وحَسَنٌ بَسَنٌ ، وجائع
نائع^(١) . والغرض من هذا الإتياع تأكيد
الكلمة الأولى عن طريق المجانسة الصوتية ،
مع مخالفة في بعض الحروف ، وقد سئل
بعضهم عن ذلك فقال : هو شيء نَتَدُّ به
كلامنا ، أى نقوى به كلامنا . ولكن
نفرأ من اللغويين حاول جاهداً أن يأتى
(بأصل) للكلمة الثانية ، ويوضح
اشتقاقها ، فليطان - من لاط بقلبي ياوط

(١) المنصف لابن جنى ٢ / ٢٢٥ (ط . إحياء التراث) .

(٢) الكافي في اللغة ٥٥ ، طاهر الجزائري (ط . كردستان) القاهرة ١٣٢٦ هـ .

(٣) ص ٤٢٩ / ٣ .

(٤) الاشتقاق ٢٨٧ (ط . وستفلد) .

(ب) هُجِّيم - من قولهم : هجمت البيت ، إذا هدمته^(١) .

(ج) هُدَّيل - يقال : هَوَّذِل الرجل يبوله ، إذا اضطرب بوله فقد هَوَّذِل^(٢)

ثم نراه يتخبط في الاشتقاق ، ويكثر من الزعم كما في حديثه عن (حمير)^(٣) مع أن لغة حمير مخالفة للغة مضر وربيعة ولا شك أن كثيراً من علمائنا حاولوا وتكلموا وتسكعوا في بُنيّات الطرق ، ذات اليمين وذات الشمال حتى ربما قالوا قولاً في لفظ ، ثم قالوا خلافه في نظيره^(٤)

(ب) الأصل التاريخي (٥) :

أشرت في أول الكلام إلى الأصول المتخيلة تلك التي أخذ بها علماءنا الصرفيون ثم سرنا شوطاً طويلاً مع الأصول والفروع في كثير من أبواب الصرف والعربية ، والحديث الآن عن نوع ج-ديد وهو

(الأصل التاريخي) والهدف منه أن نقتنى آثار الصيغة في أطوار حياتها ، وما أصابها عبر التاريخ ، وأرى أن البحث في مثل هذا أجدى من حديث علماء الصرف في الأصول التي تخيلوها في باب الإعلال وسأكتفي بمثل يسيرة :

١- ذكر أبو الطيب اللغوي في كتابه الإبدال أنه يقال : ولد في الدثئ . . . وطبي تقول : في الدثئ - إذا ولد في الشتاء وقبل الصيف . وأرجح أن الصيغة بالثاء أصل ، ففي اللغات العربية الجنوبية القديمة: دثأ - معناها الربيع أو محصولات الربيع ، وهو معنى (دثأ) و (ديش) في الآكدية بمعنى العشب الكثيف . وفي العبرية (دثأ) بمعنى العشب الغض وفي آرامية العهد القديم والآرامية اليهودية (دثأ) والثاء في العربية تكون شيئاً في الآكدية والعبرية ، وتاء في الآرامية^(٦)

(١) الاشتقاق ١٠٨ ، وانظر : مادة عكل وتميم ومهرة بن حيدان وعذره وكندة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الاشتقاق ٣٠٦ .

(٤) انظر : المزهري ١ / ٣٥٣ ، ٣٥٤ حيث زعموا أن الثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب ، أي رجع لباساً

بعد أن كان غزلاً .

(٥) انظر حديثاً قيباً في : دراسات في علم اللغة القسم الثاني ١١٣ فما بعدها دكتور كمال بشرط دار المعارف

بالقاهرة .

(٦) نصوص في فقه اللغة العربية ٢ / ٢٩٤ ط بيروت . د . يعقوب بكر .

٢- يقول السيرافي في شرحه على الكتاب^(١) « كامة ست في العدد أصلها سدس ودعاهم إلى ذلك كثرة استعمالهم إيَّاه في كلامهم ، ولأن السين مضاعفة وليس بينهما حاجز قوى ، والحاجز أيضاً محرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سيناً فتلتقى السينات ، ولم تكن السين تدغم في الدال لما ذكرت لك فأبدلوا من السين أشبه الحروف بها من موضع لتلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا ، وذلك الحرف التاء كأنه قال : سدت - ثم أدغموا الدال في التاء^(٢) .

أما النظرة الحديثة فتري أن الأصل : سدث - كما هي في اللغات اليمينية القديمة والأجريتية شبهت الدال بالتاء بالانقلاب إلى الهمس بدل الجهر ، وشبعت التاء بالدال بالانقلاب إلى الشدة بدل الرخاوة فصار الحرفان تاعين وأدغمت التاء في

التاء ، فالدال شديدة مجهورة والتاء مهموسة رخوة ، والتاء شديدة مهموسة فقلبت الدال تاءً لتتشابه مع التاء في الهمس ، وقلبت التاء تاءً لتتشابه مع الدال في الشدة .. والسين النهائية في سدس كانت تاء ... وقد قلبت سيناً لتتشابه مع السين الأولى ، وكلاهما - مهموس رخو .

٣- ورد عن أبي عبيدة عن يونس : أن أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبي عليه الصلاة والسلام ، والبرية ، والذرية^(٣) . وزاد ابن سيده كلمة أخرى وهي : الخابية^(٤) فالعرب تركت الهمز فيها إلا أهل مكة ، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ، ولا بد قبل الحكم عليها من تحليلها : فالبرية : معناها الخلق وهي من برأ الله الخلق ، فأصلها على ذلك الهمز ، وقد تأخذ من البرى - وهي

(١) ٥٩٣/٦ مخطوط بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو .

(٢) انظر الكتاب ٤٢٨/٢ ط أولى .

(٣) إصلاح المنطق ١٥٩ .

(٤) المخصص ص ١٧ / ١٥٣ ، ص ١٤ / ٨ .

التراب ، فأصلها غير الهمز والياء
أصلية^(١) .

والنبي : أصله من النبأ وقد جمع على :
نبياء فأصله الهمز ، وينقل ابن سيده
عن سيبويه قوله : وليس أحد من العرب
إلا وهو يقول : تنبأ مسيلم . ولكن
كيف يتفق هذا (أى أن الأصل فيه
الهمز) مع ما روى من أن رجلاً قال للنبي
(صلى الله عليه وسلم) : يا نبي الله -

بالهمز ، فقال له : لا تنبر باسمي : أى
لا تهمز^(٢) ، وقد يكون الرسول إنما كره
(النبي) بالهمز ، لأنه توهم أنه من :
نبأ من أرض إلى أرض ، والمعنى : يامن
خرج من مكة إلى المدينة على غير وجه
التكريم . على أن شبهات حامت حول
هذا الحديث^(٣) ، كما أن الرسول
صلى الله عليه وسلم سمع من ينشده :
يا خاتم النبياء إنك مرسل

بالحق كل هدى السبيل هداكا

ولم يعترض على هذا . وفي شرح -
المفصل^(٤) : أن التخفيف لازم لكثرة
الاستعمال بحيث صار الأصل (الهمز)
مهجوراً . وبعضهم يرى أنه من النبوة ،
أى الرفعة ، فلا يكون على هذا أصل له
الهمز ولا تخفيف فيه ، ومن الذى أصله
الهمز (الذرية) إذا أخذت من ذراً الله
الخلق ، فإن أخذت من الذر والياء
للسبب ، فلا تكون الهمزة فيها أصلية^(٥) .

٤ - ترعة : الباب بالسريانية ، ثغر :
أى فم ، واشتقاقه من : ثغره يثغره بمعنى
شقّه . وهما من أصل واحد فالثاء في
العربية تقابل التاء في الآرامية والشين في
العبرية ، فالمادة العربية (ث غ ر) تقابل
العبرية (ش ع ر) ، أى باب والآرامية
(ت ع ر) ومدلول المادة في الساميات :
الباب أو الفتحة أو الشق . وفي اللسان :
(ترع) « إن منبرى هذا على ترعة من
ترع الجنة » حديث شريف . والترعة :
الباب . والصيغة الآرامية تحولت بالقلب

(١) اللسان ١ / ٢٢ .

(٢) اللسان ٧ / ٤٠ .

(٣) الإثقان للسيوطي ١ / ١٠٠ ط حجازي .

(٤) انظر ٩ / ١٠٩ .

(٥) انظر المختصص ٨ / ١٤ ، اللسان ١ / ٣١ .

المكانى إلى (ت ر ع) ، وألحقت بها
الفتحة الطويلة للتعريف فصارت
(ت ر ع ا) ، وفي العربية حسبنا أن
الفتحة الأخيرة التي على العين هاء تأنيث
وعاملناها على ذلك ، مع أنها في الأصل
علامة التعريف (١) .

٥- ركبـة - نراها في الأكديّة birke ،
وفي العبرية בֵּרֶק bérék ، وفي الآرامية
burkā ، وفي الحبشية berk (٢) لكن
العربية آثرت الصيغة المقلوبة (ركبـة)
وهي الفرع ، وأعرضت عن الأصل
(بركة) بدليل قولنا في العربية (برك
الجمال) (٣) . ويلاحظ أن معرفة الأصل
والفرع لا يكفي فيها فحص (المادة) وحدها
كما تقدم من الأمثلة ، بل لابد من
ملاحظة (الدلالة) وتتبعها على مدى
التاريخ الطويل إذ المعنى عنصر أساسى عبر
عنه الإنسان بهذه الألفاظ والأصوات .
فالاتحاد على المعنى في معرفة الأصل
والفرع - من الأهمية بمكان لا يقل ،
إن لم يزد ، عن الاتحاد في الاقتصار على

معرفة الألفاظ والأصوات وحدهما في
ذلك ، فالمعنى إذا كان عاماً مبهماً كان
ذلك دليلاً على أن اللفظ ضارب في القدم
سابق .

أما أنواع التخصص في المادة والتأنق
فيها في خيال الإنسان لمعنى لاحق ، وطور
متأخر ، خذ مثلاً كلمة (اللبن) فتخيل
الإنسان لها يجب أن يكون أقدم من تخيل
الفروق بين أنواع اللبن ، من : السملج (٤)
(الحلو اللين) والسايط (ذهبيت عنه
حلاوة الحليب ولم يتغير طعمه) والقووة
(تغير قليلاً وفيه حلاوة) والمحل (إذا
أخذ شيئاً من طعم) والخامط (إذا أخذ
شيئاً من رائحة) والهجيمسة (يحقن
في السقاء الجديد ويشرب قبل أن
يحمض) ومن ذلك أيضاً كلمة الخائر -
فهو أقدم من تخيل الفرق بين أنواع
الخائر من العكظ أو العثلط (خثر جداً
أو تكبد) والملهاج (لم تتم خشورته) ،
والمبخر (تحبب وانقطع) والهـ ادر

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج ٨٧ د. محمود حجازى المكتبة الثقافية القاهرة .

(٢) التطور النحوى ص ٢٢ برجستراسر .

(٣) يقول الأب أنستاس الكرملى : وقالوا : الركبة وكان الحق أن يقال : البركة ؛ لأنهم اشتقوا منها :
برك ولم يقولوا : ركب . نشوء اللغة العربية ١٠٦ ط العصرية بمصر .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٢٢ من مقال للدكتور محمد كامل حسين .

(خشر أعلاه وأسفله دقيق) والإدل
(تكببد ولم ينقطع) والمندقر (المـاء
ناحية واللبن ناحية) والمطرثر (علا زبده
ونخوره) والهجيمة (الخاثر من لبن
الشاة) والروب (الخاثر لم ينزع زبده)
والمظلوم (ما يشرب قبل الروب) .

فكل هذه المعاني من تخصيص وتحديد
وحضارة نشأت في طور متأخر عن معنى
اللبن (وهو المعنى العام ، ولعل بعض
المتخصصين والمتفنين في صناعة الألبان
كان يخفي عليه بعض هذه الأنواع للبن ،
فقد حكى ابن خالويه عن نحوى بغيض
كان يتكلم بالإغراب إلى بائع اللبن يريد
لبناً غليظاً فقال : يالبن ، أعندك لبن
عثلط علبط عجلط^(١) ؟ فقال له اللبان :
تنصرف أو تصفع ؟ أو ربما بعضنا ممن
نشأ في المدن لا يعرف معنى كلمة (شرش)
وهي نوع من اللبن أيضاً

وبهذا كله يكون فهمنا أكثر اتساقاً
مع الواقع اللغوي ، واعتماداً على التحليل
العلمي ورعاية لظروف التطور التاريخي ،
والساميات أخوات العربية

٦- إن كثيراً من الظواهر اللغوية
تسربت من الساميات إلى العربية ،
ونعرض هنا ظاهرة واحدة تتصل بالأصل
التاريخي لضمير المتكلم :

١- في كتاب تاريخ صنعاء لإسحاق
ابن جرير الصنعاني^(٢) أن أم وهب بن منبه
قالت لابنها : رأيتك بنحلم كولدك ابناً
من طيب^(٣) .

٢- وفي الجزء الثاني من الإكمال :
إني سمنعة (أو شمنعة) بنت ذى مرثد
كنك إذا وحمك^(٤)
٣- روى الأصمعي ، قال الفرزدق :

(١) العثلط أو العكلط : ما خثر من اللبن أو تكبده

(٢) لوحة ١٦٧

(٣) الطيب : الذهب بالحميرية والمعنى : قالت : رأيت في الحلم كأنى ولدت ولداً من طيب .

Rabin Ancient West Aralian p, 48,

(٤) والمعنى : كنت إذا اشتبهت .

رأيت أعرابياً بمكة ومعه عجوز وغلامان
وهو يقول :

(وطالما دَعَوْنَا إِلَيْكَ)

أى دعوتنا

(أَنْكَ وَهَبِكَ زَائِدًا وَمَزِيدًا)^(١)

وتحليل هذه الشواهد :

والعجوز تقول : إِذَا شِئْتُكَ إِذَا شِئْتُكَ !

٤- وروى أبو زيد : سمعت أعرابياً
يقول لآخر : سُوِّكُ بِكَ ظَنًّا^(٢)

٥- وروى ابن قتيبة^(٣) : أَنْ سَحِيمًا !

عبد بنى الحسحاس الشاعر العربي المخضرم
كان إذا أنشد شِعْرًا جيدًا يقول
أحسنك^(٤) والله

٦- يقول ابن جنى : وأنشدنا أبو علي .

يابن الزبير طالما عَصَيْتُكَ

وطالما عَنَيْتَنَا إِلَيْكَ ،

* لنضربن بسيفنا قَفَيْكَ^(٥) *

وفي نوادر أبي زيد^(٦) أن الأبيات

لرجل من حمير وفي إبدال أبي الطيب^(٧) :

(١) أن بعض اللغات السامية كانت
تستخدم الكاف ضميرًا متصلًا للمتكلم
المرفوع ، وقد بقي ذلك الاستعمال وعاش^(١)
في اللغات : الأكادية والحبشية والحميرية
إكما تصورها الكتب العربية وفي بعض
لهجات جنوب بلاد العرب الحديثة ،
كالمهرية والشحرارية والسقطرية والبرتوحادية
والحرسوسية ، وكذلك في قضاء حراز
غرب صنعاء ، وقضاء الطويلة شمال غرب
صنعاء كما أن بعض الجماعات السامية
الأخرى استخدمت الكاف ضميرًا متصلًا
للمخاطب المرفوع قياسًا على كاف المتكلم
ثم فرقت بينهما بالحركات فضمت كاف
المتكلم في الفعل الماضي ، وفتحت كاف
المخاطب .

(١) والمعنى : أنت وهبت زائدا ومزيدا ، وإذا شئت ، إذا شئت إبدال أبي الطيب ١ / ١٤١ .

(٢) والمعنى : سوت .

(٣) الشعر والشعراء ٢٤١ .

(٤) يعنى : أحسنت (سر الصناعة ١ / ٢٨١) .

(٥) خزانة الأدب ٤ / ٤٢٨ (تحقيق عبد السلام هارون) .

(٦) ص ١٠٥ .

(٧) ص ١ / ١٤١ (تحقيق عز الدين التنوخي - دمشق) .

وبعض الجماعات السامية رأّت أن هذه الكاف التي كانت تستخدم للمتكلم المرفوع تلتبس بكاف المخاطب فاستغنوا عنها ، واستخدموا التاء كضمير متصل مرفوع للمتكلم ، وحركوها بالضم للتفرقة بين المتكلم والمخاطب . أما العربية - فجانست بين المتكلم والمخاطب فاستخدمت التاء للمتكلم والمخاطب مضمومة للمتكلم ، ومفتوحة للمخاطب^(١) .

زعم الأنفثس وابن مالك ، وإنما الكاف بدل من التاء بدلاً تصريغياً^(٢) .

(ج) يرى بعض علمائنا المحدثين أن تعليل علماء العربية القدامى لوقوع الإبدال بين التاء والكاف غير صحيح ، إذ الكاف من أقصى اللسان ، والتاء من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ولا نعرف في الساميات التبادل بينهما^(٣) .

(د) أن الكاف هي الأصل في تاريخ الجماعات السامية القديمة للمتكلم . والمخاطب ، والدليل على ذلك أنه لو كانت التاء هي الأصل لافترضنا أنها قلبت كافاً في بعض اللغات السامية بغير علة مفهومنا . أما إذا كانت الكاف هي الأصل - ل فهمنا سبب إبدالها تاء بسهولة وهو : أن التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها على المتكلم أيضاً قياساً على المخاطب ، ويؤكد ذلك أن الكاف لا تنزل على حالها في بعض

(ب) ويعلل ابن جنى لذلك فيقول : أبدال الكاف من التاء لأنها أختها في - الهمس^(٢) ، ويقول الأنفثس : إن شئت قلت : أبدال من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس ، وإن شئت قلت : أوقع الكاف موقعها وإن كان في أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية . وقال ابن هشام : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع كما

(١) ضمير المتكلم المرفوع . د . خليل نامى - فصلة من مجلة كلية الآداب م ١٩ ج ١ .

(٢) سر الصناعة ٢٨١ .

(٣) الخزانة ٤ / ٤٢٩ .

(٤) دراسات في اللغة العربية ٨٦ د . خليل نامى (دار المعارف) ولكنى أرى جواز التبادل بين التاء والكاف لاجتماعهما في الصفة وهي : الشدة والإصمات والانفتاح والهمس والاستفال ، وإن اختلفا مخرجاً ، أما القول بالتبادل بينها هنا بين الضميرين التاء والكاف فلا أراه لما سبق تعليقه .

علموا ذلك بقولهم : إن الألف انقلبت
إلى الياء في لهجة هذيل .

وقد وردت للهجة شواهد شعرية كثيرة^(٢)
وأيدتها قراءات قرآنية^(٣) ، ولهذا يصفون
هذه الظاهرة بالجواز مرة ، وبالحسن
مرة أخرى^(٤) .

ومفاد كلام النحاة أن الألف هي الأصل
القديم في الكلمات السابقة ، وأن الياء
تطورت عنها ، ولانوافق النحاة على رأيهم
لما يأتي :

١- أن العكس هو الصحيح ، والياء
هي الأصل التاريخي ، لوجودها في كثير
من الكلمات قبل أن تتطور تلك الياء إلى
الألف ، ومما يؤيد ذلك أن بعض القبائل
العربية كانت تقول : هذه أفعو ، وبعضها
يقول : هذه أفعي ، وآخرون ينطقونها :
أفعأ بالهمز^(٥) . ويؤكد ذلك ما روى عن

اللغات السامية^(١) ، وأن الضمير الأصلي
في أقدم اللغات السامية هو (كو) ،
وليس (تو) .

أما علماء العربية القدامى فيرون أن
(التاء) هي الأصل ، وأنها قلبت كافاً ،
وعندهم في ذلك أن الدراسات المقارنة
لم تظهر في زمنهم ، بدليل أنهم كانوا
يصفون هذه الظواهر بقولهم : هي لكنة
أجنبية !

٧- ومن الأصول اللغوية التاريخية التي
التي لم يحالف علماء العربية التوفيق فيها
أنهم عندما وجدوا شيئاً مختلفة عن
الفصحى من مثل : (هوى) بدلاً من
هـ- واى ، و (قفى) بدلاً من قفأى ،
و (عصى) بدلاً من عصأى ، و (فتى)
بدلاً من فتأى ، و (بشرى) بدلاً من
بشراى ، و (محيى) بدلاً من محياى ،
و (هدى) بدلاً من هداى في لهجة هذيل

(١) الفلسفة اللغوية : جرجى زيدان ١١٨ هامش (دار الهلال) .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢ ، وشرح ابن عقيل ٧٣ / ٢ ، وشرح الحامسة للمرزوقي ١ / ٥ فما بعدها (والبحر
المحيط ١ / ١٦٩ ، وحاشية الأمير على المغنى ٢ / ٩٧ ، وجمهز ابن دريد ٣ / ٤٨٨ ، والمحاسب لابن جنى
١ / ٤١٧ ، مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير .
(٣) انظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥ ، ٦٢ ، والبحر ٤ / ٢٦٢ ، ٥ / ٢٩٠ .
(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٤٦ ط مكة ، وحاشية الصبان على الأشوفى ٢ / ١٨٥ (ط الميمنية) .
(٥) الكتاب ٢ / ٢٨٧ (بولاق) وشرح السيرافى على سيبويه ٥ - ٤٤٠ (مخطوط بالتيمورية رقم ٢٨٥
نحو وشرح الحامسة للمرزوقي ٨٢٩٢ ، والجمع ٢ / ٢٠٦ ، وشرح التصريح ٢ / ٣٣٩ ،

ابن عباس رضي الله عنهما حين قيل له : وأتى ورعى وبني (ألفاً ، وإنما كانوا ينطقونها ياء فيقولون : بكى ورعى ، وأتى^(٢) . وهذا يؤكد أصالة الياء^(٣) ، عكس آراء النحاة حين قالوا بأصالة الألف .

(ج) فى تاريخ الصيغ :

أولاً : إن اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات ، فهي تتطور وتتغير بفعل الزمن على ألسنة المتكلمين بها ، وحسبنا أن نشبت ذلك من خلال ما سُمى بصيغة (الافتعال) فهي تتأثر بالأصوات المجاورة لها ، لتيسير عملية النطق ، والدليل على ذلك :

(أ) أن بعض العرب يقول : قد

وهذا هو الطور الأول من أطوار النطق والأصل التاريخي له ، ثم تطور في - الفصحى إلى الألف فصار : أفعى ، عصا ، قفا ، فتى . ومعنى هذا أن الفصحى - تخالفت من صوت اللين المركب Diphthong وهو au (أو) و (ai) (أى) إلى الفتح (ة) .

٢ - أن الصنفويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأفعال مثل (بكى ونجى ،

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ / ١١٩ جاز الله الزمخشري (دار إحياء الكتب العربية ط . أولى) .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ - ٢٥ د . جواد على .

(٣) والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم فى الحبشية الجعزية وهى لغة سامية ففيها : صحو تلو رى فى : صحا وتلا و رى وهذا هو الطور الأول أما الطور الثانى : فسكون هذه الحركة للتحفيف فى مثل : أفعى وقد تنبه إلى ذلك ابن جنى (فى الخصائص ٢ / ٤٧١ فما بعدها) هذا ومن الرجز الذى يصور الطور الثانى ما ورد فى (المحتسب ١ / ٦٨ بالجمهوريّة) من قول الراجز :

* إن لطفى نسوة عند الفضى *

* ينعمن الله من قد طنى *

* بالمشرفيات وطن بالطنى *

وهذا الطور كان يشيع فى قبائل عربية قديمة (انظر : كتابنا اللهجات العربية فى التراث ٢ - ٤٩٨ ط تونس ، ومثاليين أحدهما للدكتور رمضان عبد التواب ، والثانى لى فى الدورة ٤٦ لجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة اللهجات والطور الثالث : تطور الحركة المركبة السابقة إلى حركة الإمالة أما الطور الأخير من تطور الأسماء المقصورة ، والأفعال الناقصة والجوفاء فهو التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص فى العربية الفصحى .

اتغر ، وبعضهم يقول : قد اتغر -
 بالثاء^(١) ، ولتكسير هـ - هذا التطور
 نرى أن الأصل : اتتغر - اجتمعت
 والتاء وهما مهموسان ولا يجمع بين
 عمادتين متناقضتين ، إذ النطق بالثاء
 يقتضى الصغير ، وبالتاء يقتضى ،
 الانفجار ، فانتقل مخرج الثاء إلى
 التاء ، وبهذا اتحد الصوتان في الشدة
 والمخرج والهمس ، فتم الإدغام ،
 وصارت (اتغر) بالتاء ، وذلك أيسر
 لأن فيها اقتصاداً في الجهد العضلي .
 ويشبهه ما سبق ما جاء عنهم من : أتثر
 وأثر^(٢) .

(ب) ما روى عنهم من قولهم :
 عليك بأبوال الظباء فاصعبها ، فإنها
 شفاء للطحل^(٣) . وقد اجتمع في
 الصيغة صوتان مهموسان : الصاد والتاء ،
 فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو
 الطاء فصارت « اصعبط » ثم زاد
 تأثر الراء بالصاد فصارت « اصعبط »

وهي أيسر ؛ لعمل اللسان فيها من وجه
 واحد ، فأوجد صيغة أيسر ، ومما
 يلاحظ أن بعض هذه الصيغ يمثل فترة
 زمنية أقدم من الصور الأخرى من ذلك :

صبيغتان من ص-يغ الأفعال وردتا
 بص- ورتين مختلفتين وهما « اتفعل
 واتفاعل ، إلى جانب : اتفعل واتفاعل .
 والصيغة الأولى هي القدمى ، وورد
 منها في النصوص القديمة والتراث
 والقرآن الكريم الكثير من مثل قوله
 تعالى : « وما يتذكر إلا من ينيب »
 « ثم دنا فتدلى » فمن تصدق به
 فهو كفارة له « قالوا تقاسموا بالله »
 كما ورد من الصيغة الثانية وهي الأحدث
 فواء تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض
 زخرفها وازينت » ، « بل أدرك علمهم
 في الآخرة » ، « أثأقلتم إلى الأرض » بل
 إن الصيغتين القدمى والمتطورة نجدتهما
 في نص قرآنى واحد فى قوله تعالى :
 « ليأبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »

(١) معانى القرآن للنسب ٢١٥ / ١ دار الكتب .

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩٠ لابن جنى .

(٣) معانى القرآن ٢١٦ / ١ دار الكتب .

وذلك يؤكد أن التطور في الصيغ لا يظهر فجأة ، ولا يقضى على القديم بين عشية وضحاها^(١)

ومثل هذا التطور نلاحظه فيما يروى من قراءات قرآنية: « واذكر بعد آية^(٢) ، وقراءة الحسن بالذال^(٣) . وما ، تدخرون في بيوتكم^(٤) » ، وقراءة أخرى « بالذال »^(٥) وما رواه الكسائي عن بعض العرب : « الـلـريق يأتسق ويأتسع^(٦) ، وما روى عن الشافعي في الرسالة^(٧) : وأخرى موثقة ، وقواه وتختلف منه وتاتفق^(٨) ، وقوله اينفق المقاييسون في أكثره^(٩) . وهذه الصيغ السابقة في الفصحى نراها على الترتيب :

يتسق ويتسع ، متفقتة ، تتفق ، اتسقى . وهي متطورة عن الصيغ القديمة السابقة ، وعال بعض الباحثين^(١٠) الصيغة التي أبدلت فيها الواو والياء - تاء بقوله : لأنهم لو أقروها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء وبعد الفتحة ألفا ، وبعد الضمة واوا ، فلما رأوا مصيرها إلى تغييرها لتغير أحوال ما قبلها - أبدلوا منها حرفا يانزم وجهها واحدا - وهو التاء كما يلاحظ في قانون التطور إن أثر الصوت الأول في الثاني فالتأثر (مقبل) وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر) ، كما قد يكون التأثر (كليا) أو (جزئيا) . وقد يسميه بعضهم (تقديميا) أو (رجعيا)

- (١) التطور اللغوي : للدكتور رمضان عبد التواب، مقال له في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٣٣ .
- (٢) يوسف ٤٥ .
- (٣) إتخاف فذاه البشر ٢٦٥ .
- (٤) آل عمران ٤٩ .
- (٥) تفسير الطبري ٦ / ٤٣٦ تحقيق محمود شاكر .
- (٦) سر الصناعة ١ / ١٦٥ .
- (٧) ٢١١ .
- (٨) الرسالة ٣١ ط أولى تحقيق الشيخ أحمد شاكر .
- (٩) المرجع السابق ٤٧٩ .
- (١٠) الجاسوس على الزاموس ٥٣٥ ط الجرائد ١٦٩٩ .

وما سبى يؤكد لنا مسار الصيغ وتطورها
بين الأجداد والأحفاد ، ويقوى منافذها
أومسالكها بين السالفين والخالفين .

ثانياً ؛ ما جاء في كلمة (الأم)
وسأتجه فيها إلى القرآن الكريم
وقراءاته :

أ (أ) في قوله تعالى : ١ - وإنه
في أم الكتاب (١) .

في قوله تعالى ٢ - حتى يبعث في أمها
رسولاً (٢) .

» ٣ - فلأمه السادس (٣) «

» ٤ - « فلأمه الثلث (٤) » .

» ٥ - (من بطون أمهاتكم (٥) » .

» ٦ - في بطون أمهاتكم (٦) .

في قوله تعالى ٧ - « في بطون أمهاتكم (٧) » .

» ٨ - « أو بيوت أمهاتكم (٨) »

(ب) ومنه في الأثر قول من روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم (أوصى
امراً بإيمه (٩) . فقرأ الأخوان (١٠) ، وحمزة
الكسائي (١١) بكسر همزة (إم) وصلوا ،
كما كسر الهمزة والميم همزة فيا إذا أصيغ
إلى جمع ، وذلك في آيات النحل
والزمر والنجم والنور ، وكسر الكسائي
الهمزة وحدها ، وذلك في الوصل
أيضاً (١٢) والسبب في كسر الهمزة يرجع
إلى ظاهرة المماثلة حيث وجدت الهمزة
في الآيات السابقة مسبوقه بكسرة
أو ياء ، والياء من جنس الكسر ،
فلو لم تكسر لتسبب الانتقال من كسر

(١) الزخرف آية ٤ .

(٢) القصص آية ٥٩ .

(٣) النساء آية ١١ .

(٤) النساء آية ١١ .

(٥) النحل آية ٧٨ .

(٦) الزمر آية ٦ .

(٧) النجم آية ٣٢ .

(٨) النور آية ٦١ .

(٩) معاني القرآن للفراء : ١ / ٥ - ٦ دار الكتب .

(١٠) البحر ٣ / ١٨٤ .

(١١) إرشاد المرید علی إبراز المعاني ٢٨٥ .

(١٢) النشر ٢ / ٢٤٨ .

وشبهه إلى ضم ، وهذا معنى قول
القراء : « فاستثقل ضمة قبلها ياء
ساكنة أو كسرة^(١) » .

واشترطهم حالة الوصل لكسر الهمزة
يؤكد ظاهرة المماثلة عند هؤلاء القراء ،
بدليل إن وقفت على حرف الجر ،
ضممت الهمزة بلا خلاف ، إذ لم
يبس قبلها ما يقتضى كسرها .

وقد نقل أبو جعفر النحاس حكاية
عن سيبويه أن كسر الهمزة مما سبق
لغة كثير من هوازن وهذيل^(٢) ، وقد
أكد هذا العزو - أبو حيان إلا أنه عزا
الرواية إلى الكسائي والقراء^(٣) ومن
الثابت المقرر أن هوازن مالت إلى
عدم الانسجام^(٤) في الضمائر، فما بالها
هنا مالت إليه ؟

وتخلصنا من هذا التناقض أعرض
اقتراحين :

أولهما : أن هوازن كانت في الأصل
حلفا ضم جماعة قبائل مختلفة^(٥) مفرقة
على وجه الجزيرة العربية ، ومادام
الأمر كذلك فليس من العسير أن تختلف
قبائلها المتناثرة في هذه الظاهرة .
يؤكد هذا حكاية سيبويه فيما سبق
وأما « لغة كثير من هوازن » فيفهم من
قيد الكثرة أن قلة منهم كانت تتخالف
لهجتهم مع ما عليه الكثرة .

ثانيهما : أن الكسائي سمع شيخاً
من هوازن يقول : عليه مال ، وكان
يقول : عليهم وفيهم وبهم « يضم
الضمير^(٦) ويفهم منه ضمنا أن
لهجة الأبناء في هذه القبيلة كانت
تجنح^(٧) إلى المماثلة في حين أن لهجة
الأشياخ - الذين يؤثرون المحافظة -
كانت تفر منها ، وإلا فما معنى
التخصيص بسماعه من (شيخ) ؟
وهنا يوضح لنا مسار اللغة

(١) معاني القرآن للقراء : ١ / ٥ - ٦ .

(٢) إيراد المعاني ٢٨٦ .

(٣) البحر ٣ / ١٨٥ .

(٤) اللسان ٢ / ٣٦٨ .

(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٣٢١ .

(٦) اللسان ٢ / ٣٦٨ .

ومناخها بين الأجداد والأحفاد ، والسالفين
والخالفين في الظاهرة الواحدة .

(د) الأصل ومدى صلته بظاهرة الشذوذ ؟

على أن هذا الأصل التاريخي يمكن
أن يتعرف عليه من خلال ما سماه
علماء العربية (بالشاذ) تارة أو
(الضرورة) تارة أخرى .

وقد جمعت قدرا صالحا من (الشذوذ
الصرفي ، ومن الضمائر فيه ، لنرى
فيهما الأصل الحقيقي لسير الصيغ :
كما نرى من خلال الصيغة معلة تارة
أو مصححة أخرى أو مضطربة أحيانا .
نرى ونلمس التدرج اللغوي صاعدا على
سلم الارتقاء ، أو منحدرا متجمدا -
يمثل بقايا مرحلة سالفة .

ولعل كثرة الشذوذ ، وتردد هذه الكلمة
في أبواب الصرف وغيره يرجع سببها
إلى أن علماءنا القدامى كانوا يعتقدون
أن العربية خلقت ففهموا أن كل
تطور ينالها إنما ينشأ عن ضعف أو
انحراف أو شذوذ - وليس كذلك ،
إنما يمثل هذا الشذوذ مرحلة من مراحل
حياة الصيغة ، لم تتطوّر - ور تطورا

كاملا ، بل بقيت متجمدة في إحدى
مراحلها فرسّمت بالشذوذ عندهم ،
ولكن هذا الشذوذ منبهة على أصلها
ودليل على أولية حالها ، وهو يشير
إلى بقايا من تاريخ الكلمة لا يصح
أن نحمّله أو نظلمه بالحيث والجور لأنه
يمثل بيئة لغوية ، وهذا المنهج الذي
اتبعناه يخالف منهج الأقدمين الذين
برون أنه : لا ينبغي أن يلتفت إلى
شواذ الأشياء (عبث الوليد للبحثري)
ومثل ذلك ما جاء في الاقتراح ،
للسيوطي ص ٢٩ ط الثانية : « إن
الشاذ ونحوه يطرح طرحا ولا يتم
بتأويله » ، والحقيقة التي عومل بها
الشاذ أنه إذا كانت الشواهد عليه
كثيرة وافرة - دخل في اللغة الفصحى ،
وإن كانت الشواهد عليه قليلة بقي
شاذا دون أن يفتح له المشرعون مكانا
في كتب الصرف وغيره ، وأياما كان
فالشاذ أقدم عهدا ، وأثبت نسبا من
الصيغ الجارية على القواعد الصحيحة
التي وضعها العلماء . والذي يهمنا في
هذه الدراسة ، وذلك المنهج الجديد
أن نربط هـ -هـ بين الشواذ بحيث

تتواكب وتتواخى في سلم ارتقائى واضح مترابط ، إذ الثابت أن التطور حقيقة في اللغات يميت صيغا وينشئ أخرى غيرها ، ثم تبقى بقايا لما أميت ، ومن النص الآتى يتضح هذا : كلمة (مطلع) وردت بالكسر والفتح - والقياس الفتح (شرح السيرافى ، ٥ - ٢٧٩) أما قياس الكسر فهو أن يكون المضارع تطلع - بكسر اللام «

وكان الكسائى يقول : هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب ، يعنى ذهب من يقول : تطلع بكسر اللام ، وبقي مطلع - بكسرها في الزمان والمكان على ذلك القياس (البحر ٦ - ١٦١) وصيغة الكسر مع أنها خارجة على قياسهم لكنها لهجة معترف بها في تميم وقرأت بها القراءة في (حتى مطالع الفجر) بالكسر .

وسأعرض أمثلة لما يسمى بالشاذ في باب (الإعلال^٣) وقوة دلالاته على الأصل ، وعلى أولية الكلمة .

أولا : نوع أعل	وقياسه التصحيح	مصائب
مصائب	وقياسه مصابوب	(لأن المد في المفرد أصلى فلا يعمل في الجمع بالقلب همزة) .
معائش	وقياسه معايش	(لأن المفرد معيشة فالمد أصلى) .
ناقة عليان	وقياسه علوان	(لأن الواو في كل قلبت ياء ولم تقع بعد كسر) .
وصبية وصبيان	وقياسه صبوة	
من العلو والصبوة	وقياسه صبوان	
ثيرة جمع ثور	وقياسه ثيرة	(لعدم الألف بعد الواو في الجمع)

طيال^(١) جياذ وقياسه طوال وجواد (لأن الواو أعلنت في الجمع مع أنها في المفرد (طويل) ليست معلة ولا شبيهة بل متحركة

قرأ بعضهم :

« للريّا تعبرون » وقياسه للرويا (بقلب الواو ياء مع أنها عارضة غير بالتشديد أصيلة)

أنا الليث معدّيا وقياسه معدّوا (لأنّ الماضي على فَعَل - بفتح العين فالواجب تصحيح الواو)

فما أرق النيام إلّا كلامها وقياسه النوم (لأنّ الجمع عنى فعال والواو لا تقلب ياء فيه فتصح فيه الواو) .

اجلياذ وقياسه اجلواذ (لتشديد الواو) .

ديوان وقياسه دوان (لتشديد الواو) وجمع ديوان - دواوين ودياوين (إبدال أبي الطيب ٤٧٤/٢) ولعل هذا الجمع الأخير تجمّد في دور التهذيب .

داران هامن وقياسه دوران/هيمن (لأنّ في آخر الاسم زيادة خاصة

جالان سلان وقياسه جولان/سملان بالأسماء لكن أعلنت شذوذاً) .

صيار وصيان^(٢) وقياسه صوار (لأنّ الواو وإن وقعت بين كسرة وألف

وصوان لكنها ليست عين جمع بل هي عين مفرد)

(١) تبين لي أن القاء ذلة وأن أعزاء الرجا طياله (المفصل : ٣٨١)

كما وردت رواية أخرى (طواها) ابن يعيش ١٠ / ٨٩ محقق .

(٢) صيار : القطيع من الإبل والشاء .

صيان : ما يصان فيه الثياب .

ثانياً : نوع (صحح) وقياسه (الإعلال)

ثوب مضمون وقياسه مصون

ثوب مخيوط وقياسه مخيط

(والتصحيح جائز عند تميم)

شاذ عند غيرهم)

نخوة وقياسه خان لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها

جمع (خائن) شروط الإعلال .

حركة لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها

جمع (حائك) شروط الإعلال

مريم وقياسه مرام استحقت الإعلال بالنقل لاستكمالها

الشروط لكنها لم تعمل .

جمع حاجة (جوج) وقياسه حبيج استوفت شروط الإعلال ولم تعمل .

مقودة وقياسه مقادة^(١)

مكوزة وقياسه مكازة

مدين وقياسه مدان

موظب

مورق

موهب

سقاية

وقياسه كسر العين مثل : الموضع والموعد

وقياسه سقاعة لأن الياء تطرفت حكماً بعد ألف زائدة

والشاء غير لازمة ، ولم تقلب همزة ،

والقياس سقاعة .

(١) ومن أمثال العرب (إن الفكاة مقودة إلى الأذى) .

المنصف لابن جنى ١ / ٢٩٥ .

حَيَّيَ . عَيَّيَ

وقياسه حَايَ عَايَ يقتضى قلبها ألفاً . لأنه مضعف يائى فيه الياء الأولى متحركة مفتوحه واقبالها . كما يقتضى قلبها ألفاً فى مضارعه . لأن كل أجوف من باب (فعل) بكسر العين قلبت عينه فى الماضى ألفاً تقاب عينه فى المضارع ألفاً مثل (خاف يخاف) فيقال (يَحَايُ يَعَايُ) ولكن لم يحدث ذلك .

المنايى^(١) جمع منية وقياسه المنايا (الهجرة عارضة فالنفر منية واللام معتلة فيجب قلبها ياء لاسيماؤها شرط الإعلال) .

سمع من العرب خطاى وقياسه خطايا
قراءة بعضهم (إثلافهم) وقياسه قلب الثانية ياء (لأن الثانية ساكنة بعد كسر) .
قراءة بعضهم (أئمة) وقياسه أئمة (قلب الهجرة الثانية المكسورة ياء)
سواسوة وقياسه سواسية (الواو تطرفت بعد كسرة فتقلب ياء)
نوارا : مصدر نارت وقياسه نيار
الظبية إذا نفرت
شوارا : شارب الداية يشمورها وقياسه شيار (استكملت شروط الإعلال ولم تعل بأن وقعت الواو عيناً لمصدر وقبلها كسرة ويعدها ألف) .

(١) قال عبيدة بن الحارث فى يوم بدر :

فما برجت أقدامنا فى مكاننا ثلاثتنا حتى أزيروا المنسائيسا .

القصوى	وقياسه القصيا	(لأن الوار وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً)
الحلوى	وقياسه الحليا	(لأن الواو وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً)
يوم أيوم	وقياسه أييم	(حيث اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء)
عوى الكلب عوية	وقياسه عية	(لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء والقياس عية بقلب الواو ياء وإدغامها في الياء) .
		وسمع عوة (قلبت فيه الياء واوا ثم أدمجت الواو في الواو عكس القاعدة)
رجاء بن حيوة	وقياسه حية	(لاجتماع الواو والياء والأول منهما ساكن قال السيرافي ٤٢٧/٦ (نسختي) أظهروا الواو لأنه لا يتصرف تصرفاً نعلم به أن أصله واو) .
ضيون ^(١)	وقياسه صين	(لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والأول منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدمجت الياء في الياء) .
		لأن الواو وقعت لاماً لاسم المفعول الذي ماضيه على فعل - بالكسر .
استخوذ - أعول -	وقياسه استحاذا	اجتمع فيها شروط الإعلال بالنقل فالساكن الذي قبل حرف العلة صحيح ولم تكن الكلمة فعل تعجب . ولا مضعفة اللام ولا كانت اللام حرف العلة ولم تعل .
أغيلت المرأة - استروح	وقياسه أغال - استراح	
صددت فأطولت	وقياسه أطال	

(١) ضيون: السور الذكر .

إعوالا - استحوادًا - إغيبالا

حيث استكملت شروط الإعلال .	وقياسه	شذ : الروح ^(١)
	الإعلال	الغيب ^(٢)
		الخول ^(٣)
		القود

وشذ (أرى عيني مالم ترأياه) جاء على الأصل المرفوض .

وشذ (فإنه أهل لأن يؤكرما) وقياسه : يكرما حذف الهمزة للاستثقال .

وشذ (حذف الفاء في مثل ينح / يسع / يَطأ / بدر) وقياسه ؛ يوسع ويوطأ وعدم حذفها لأن المضارع مفتوح العين .

الفك والإدغام :

كأها جاءت بإظهار التضعيف لبيان الأصل .	شذ : لاحت عينه (بفك الإدغام)
	أل السقاء (تغيرت رائحته)
	ضبيب البلد (كثر ضبابه)
	دبيب الإنسان (نبت شعره في جبينه)
	صكك الفرس (اصطكت عرقرياه)
	قطط الشعر (اشتدت جعودته)

وتَهَلَّلُ والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغمًا .

ومَحَبَّبُ والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغمًا .

(١) الروح : الطيور المتفرقة عند الرواح .

(٢) الغيب : اسم جمع الغائبين .

(٣) الخول : الخدم .

١ - التثنية في المقصود والممدود :

جملة ما شذ من المقصور ثلاثة
أشياء :

- ١- قولهم : مندروان والقياس بالياء
- ٢- قولهم ؛ خوزلان : وقاس عليه الكوفيون .
- ٣- قولهم : رضيان وقاس عليه الكسائي .

والذي شذ من الممدود خمسة أشياء .

- ١- قولهم : حمراءان والكوفيون أجازوه كما حكى ابن النحاس .
- ٢- قولهم : حمرايان وحكى أنه لغة فزارة .

٣- قولهم ؛ قاصعان بيحذف الهذرة والألف . وقاس عليه الكوفيون .

٤- قولهم : كسابان وقاس عليه الكسائي ونقله أبو زيد عن لغة فزارة .

٥- قولهم : قراوان بقلب الألف
الأصيلة واوا .

٢ - شواذ التعجب والتفضيل :

تبني صيغتا التعجب والتفضيل من :
فعل ثلاثي مجرد تام مثبت متصرف
قابل للكثرة - غير مبني للمفعول
ولا معبر عن فعله بأفعل فعلاء

ومن الشاذ : ما أأتاه (*) للمعروف
وما أعطاه للدراهم .

وما أعوره ، وما أحمره (**)

هـ- و أحنك^(١) البعيرين . وأقمن^(٢)
به . وما أعساه^(٣) وأعس به ،
وما أقدر الله أن يدنى على شحط :
لعدم قبول صفات الله الكثرة ، هو
أزهي^(٤) من ديك^(٥) ، وأشغل من ذات
النحيين^(٥) (التصريح والهمع
والأشهونى فى هذه الأبواب)

(*) ليس مجردا .

(**) معبر عن فاعله بأفعل فعلاء .

(١) اسم عين .

(٢) من وصف لا فعل له .

(٣) فعل جامد .

(٤) مبنى للمجهول .

(٥) مبنى للمجهول (شغل) .

٣ - شواذ النسب :

١- يحذف لياء النسب ياء فعيلة بشرط صحة العين وانتفاء تضعيفها : كحنيفة وصحيفة - تحذف منه تاء التانيث أولا ثم تحذف الياء ثانيا ثم تقلب الكسرة فتحة : حنفي وصحفي « التصريح ٢ / ٣٣٠ » .

وثناء قولهم في سايحة : سايدي وفي عميرة - كاي - عديري وفي السليقة سليقي ، قال الشاعر ولست بنحوي يابوك لسانه ولكن سايقي أقول فأعرب

فهذه الكلمات جاءت شاذة للتنبية على الأصل المرفوض والقياس : سلقى مثل حنفي ولكنه جاء على خلاف القياس (الأشموني ٤ / ١٨٦ ، والتصريح ٢ / ٣٣٠) .

(تعليق ونقد) :

١- قد يجرى في الباب الحرف ، والحرفان على أصولهما ، وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدل على أصل الباب (انظر : « استحوذ عليهم الشيطان » المجادلة ١٩)

وأغيلت المرأة (إذا أرضعت ولدها وهي حامل) وكذلك ، لحجت عينه (لمسقت)

٢- المراد بالشذوذ ردّ إلى الأصل

المرفوض (شواهد المغنى ١٧٢ ، ٢٤٠ ٢٣٢) وتفسير الشذوذ أن التصحيح هو الأصل - ل والإعلال طارئ متأخر وتهذيب جاء في اللغة ، أحواله الموسيقى اللغوية عن النطق السابق إلى الحاضر على نسق معين ، ولهذا يمثل الإعلال نهاية العمل المتكامل ، إذ العربية في تاريخها الطويل كانت خاضعة لسنة الارتقاء وهي بين النقص الزيادة والتهذيب والتشذيب ، والهدف من الإعلال في النهاية التخفيف ، ففيه النقل والقلب والحذف وسبيل ذلك التيسير .

٣- ومما يؤكد أن مرحلة ما بين

التصحيح (وهو الأصل) والإعلال (وهو الفرع) كانت للتنقيح والتهذيب ونصفية الصيغ ، أن الصيغ المصححة مثل : أعول ، وأغيل وأجود قد سمعت معاملة على القياس إلا أنه تحوذ ، واسه - تروح المريح ، وأغيلت المرأة

(أرضعت على الحبل) وإنما لم تـعل هذه الأفعال بالنقل دلالة على أن الإعلال في مثلها غير أصل .
٤- أن علماء العربية كانوا يظنون أن الإنسان هو الذي يقوم بعملية التصحيح والإعلال في اللغة . فـكثيراً ما تسمعهم يقولون « المنائي - بإبقاء الهمزة مع عروضها في الجمع ، وكان القياس (المنايا) وأصله (المنائي) بهمزة عارضة ثم تفتح الهمزة مع القياس فتقلب الياء ألفاً فتصير (المنايا) ثم تقلب الهمزة ياء فتصير (المنايا) ولكنهم بعد عروض الهمزة كفوا أيديهم وعاملوها معاملة الهمزات الأصلية . وهذا غير صحيح ، لأن اللغة ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تأثير للفرد عليها . ٥- ويرى نفر من الباحثين وجها حسنا في نفيه الشذوذ - عما يسمى بالشذوذ في العربية . فيقول معلقا على الشذوذ في اسم الآلة : المُسَعَط والمُنْخَل والمُدهن . . . والحق أن هذه الألفاظ لم يذهب بها مذهب الفعل ، ولكنها كما قال سيبويه جاءت لتجعل أسماء لهذه الأوعية ، فـالمكحلة ليست

لكل ما يكون فيه الكحل . ولكنها اختصت بالآلة المخصوصة ، ولهذا جاز تغييرها عما جاء عليه قياس اسم الآلة .
كما نفى الشذوذ أيضاً حين قالوا بشذوذ (يدع وينذر) لأن القياس حذف الواو من المثال إذا كان في المضارع على (يفعل) بكسر العين ، والنافي للشذوذ يرى أن أصل الفعل - يفعل - بكسر العين ، إذ القياس المخالفة بين الماضي والمضارع إلا أنها فتحت من أجل حرف الحلق .

كما نفى الشذوذ في قولهم : أموى بالفتح في أمية - بالضم ، وبدوى : بالتحريك في البدو . فأموى - جائعوا به على الأصل الأصيل ، إذ أمية تصغير (أمة) بفتح الهمزة ، وبدوى قياسه بدوى - بالسكون - وإنما فتح للزدواج مع نظيره (الحضري) .

٦- شأن الأعلام مثل (مريم . مدين وزجاء بن حيوة . . .) المحافظة على صورتها الأصلية ولهذا لم يدخلها الإعلال (أي التهذيب والتنقيح) كما دخل غيرها .

٧- أن الصيغ الصرفية لم تخضع للقوانين ولم تخف من الحدود وإقامة السدود بدليل ما سبق من صيغ صححت والقياس فيها الإعلال ، وصيغ أخرى أعلت والقياس فيها التصحيح وصيغ يجب فيها حذف الهمزة في التصريف فلم تحذف ، وصيغ جاءت بإظهار لتضعيف ، وقياسها الإدغام إلى آخر الشواهد والأمثلة السابقة .

٨- ويرجع السدود إلى أسباب كثيرة منها :

التوهم : ومن ذلك قول الشاعر
ولقد رأيتك بالقوادم مرة
وعلى من سدف العشي رِيح

فالقياس رواح - لأنه من راح يروح لكنه لما كثر قلب هذه الواو في تصريف هذه الكلمة - ياء - نحو : رِيح ورياح - ومريح ومستريح ، وكانت الياء أيضاً عليهم أخف تدرجوا من ذلك إلى أن قلبوها في (رِيح) مع زوال الكسرة التي توجب القلب وكانهم توهموا أن الياء أصل في ذلك .

ومن هذا ما يحكى عن عمارة بن عقيل من أنه قال في جمع رِيح - أرياح حتى نبه عليه فعاد إلى - أرواح . وكان عمارة توهم في أرياح - أصالة الياء . ومثل هذا التدرج من أرواح إلى أرياح - نمط من حياة اللغة وتطورها . ولهذا يقول السهيلي : إن ريحا وأرياحا - لغة لبنى أسد . وقال الخفاجي في شرح بانة سعاد لابن هشام : من العرب من يقول : أرياح ، كراهة الاشتباه بجمع روح . ومثل هذا قولهم في جمع عيد - أعياد - والواجب : أعواد . وإنما قالوا ذلك لتوهم أصالة الياء في عيد ، ودفع الالتباس بجمع عود لوقيل : أعواد .

ومن هذا الضرب أيضاً قولهم : ديمة وديم . وأصلها من الدوام ، وقالوا أيضاً : دوّمت السماء - على الأصل ، وديمت - على توهم أصالة الياء ، وأنها ليست منقلبة عن واو ، وقد تجاوز هذا فقالوا : دامت السماء تديم - فمرد هذا إلى التوهم وهو مستول عن خلق صيغ جديدة في الحقل اللغوي .

وقد يرجع الشاذ إلى الإتياع ،
والمزاوجة فمن ذلك قولهم . هنائي
الطعام ومرأني ، فإذا أفردوا قالوا :
أمرأني ، وفي الحديث : « ارجعن
مأزورات غير مأجورات » . ومأزورات
من الوزر وهو الذنب فأصله : موزورات .
ومن ذلك قولهم : جاء فلان بالضَّيْح
والريح ، وأصله : بالضَّيْح أي بما طلعت
عليه الشمس وجرت عليه الريح ،
فقليل ، الضَّيْح للازوداج مع الريح
(الاقتضاب ٢١٩) كما قد يكون
سببه الضرورات الشعرية .

٣- المستقيم : أصلها المستقوم .
(بكسر الواو) نقلت حركة الواو
إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو
ياءً لمناسبة الكسرة .

ولكن الصرفيين كان في إمكانهم أن
يستغلوا هذا العامل لحل مشكلات باب
(الإعلال) إذ إن فهم عامل المماثلة
يسهل عملية الإعـلال ويختصرها ،
ويفسرها تفسيراً لا يخرج باللغة عن
طبيعتها ، ولا يوقعنا في متاهات وافتراضات
للكلمة مثلاً :

١- سيّد ومييت : أصلهما : سيّود
وميوت . اجتمعت الواو والياء والياء
ساكنة فقلبوا الواو ياءً ثم أدمجت الياء
في الياء - للمماثلة .

٢- آمنت : أصلها أأمنت . توالى
همزتان وسكنت الثانية فقلبت مدة من
جنس حركة الأولى للمماثلة .

٣- حياض : أصلها : حواض ،
وقعت الواو عينا لجمع صحيح اللام
بعد كسرة وبعدها ألف الجمع فقلبت
ياءً لمشكلة الكسرة أو للمناسبة

١- مقام : أصلها مقوم . نقلت
حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم
قلبوا الواو ألفاً لمناسبة الفتحة .

٢- يستجيب : أصلها يستجوب
(بكسر الواو) نقلت حركة الواو
إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو
ياءً لمناسبة الحركة المنقولة .

ليس تطيع الإنسان أن يأتي على
أكثر باب الإعلال ، ويفسره هذا
التفسير. المادى اليسير بل يستطيع
الباحث بشيء من التفحص أن يرجع
كثيرا من الظواهر اللغوية إلى هذا
العامل . وبهذا يمكن أن نستغنى عن كثير
من قواعد الصرفيين فى باب الإعلال
ونختصرها .

أحمد علم الدين الجندى

الأستاذ بكلية دار العلوم والخبر بالمجمع

٤- ميزان : أصله موزان ، وقعت
الواو ساكنة بعد كسرة فقلبت ياء
لمناسبة الكسرة

٥- يوقن : أصله : يُيقن وقعت
الياء الساكنة بعد ضمة فقلبت واو
لمساكلة الضمة قبلها :

٦- سيق : أصله سُوق . قابت الواو
ياء ثم قلبت ضمة السين . كسرة
لمماثلة الياء ..

